أثر التفكر والتدبر في ترسيخ العقيدة

م.د: نعمه جابر محمد آل نور

كلية الامام الكاظم(ع) للعلوم الجامعة

رقم النقال: ٠٧٧٠٣٩١٥٣٩٣

nima.jaber@iku.edu.iq

مخلص البحث:

في هذا البحث الذي يدور حول مفهومي التفكر والتدبر في القران الكريم، بدأناه بالإطار النظري من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمفردات ذات العلاقة، ثم عرجنا على سرد الآيات التي بها نثبت المراد حول أهمية التفكر والتدبر في آيات القران الكريم وآثارهما في ترسيخ العقيدة وذيلنا البحث بخاتمة ومصادر وهوامش.

الكلمات المفتاحية: القران، الفكر، التدبر، التفكر، التبصر، النفس، الدنيا، الآخرة .

Abstract:

In this research, which revolves around the concepts of contemplation and contemplation in the Holy Qur'an, we began with the theoretical framework through linguistic and terminological definitions of the relevant vocabulary, then we went on to list the verses with which we prove what is meant about the importance of contemplation and contemplation in the verses of the Holy Qur'an, And explain their effects in consolidating the faith. and we followed the research with a conclusion, sources, and footnotes.

Keywords: the Qur'an, thought, contemplation, contemplation, insight, the soul, this world, the afterlife.

المقدمة

يُعتبر التفكر والتدبر في آيات القران الكريم من أهم في الفكر الإسلامي، حيث يؤكد القرآن الكريم على هذين المفهومين وما في معناهما نظرا لأهميتهما في الساحة الفكرية لدى المسلمين. وقد اهتم مفسرو الشيعة الإمامية بهذه المسألة بشكل خاص، حيث حرصوا على توضيح أن الله تعالى قد ضمّن القران الكريم العديد من الآيات التي تؤكد وتحث على ضرورة التفكر والتدبر .

يهدف هذا البحث إلى بيان وإيراد الآيات الدالة على التفكر والتدبر في القرآن الكريم، مع التركيز على الأسس اللغوية التي اعتمدت في بيان معاني المفهومين اللذين اعتمد عليهما في تفسير الآيات المتعلقة بهذا الموضوع وبيان آثارهما في ترسيخ العقيدة.

تمهيد

قبل الدخول في البحث لابد من أن نقدم تمهيدا له يتعلق بالغرض الذي يتوخاه المشتغل بعلوم القران وهو وضع الأسس اللازمة والصحيحة لبيان معاني الكتب الواردة فيه ووضعها بين يدي القاريء الكريم ليستفيد منها.

المبحث الأول: الإطار اللغوي: تعريفات

تعريف القران لغة واصطلاحا:

تعريف القران لغة

القران في الأصل مصدر، يقال: "قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، ثم أطلق على المقروء، وسُمِّي القُرآنُ قُرآنًا؛ لأنَّه يجمَعُ السُّوَرَ فيَضُمُّها، وكل شئ جمعته فقد قرأته، وأصل(قرأ)يدل على جمع واجتماع" [١].

القران اصطلاحا:

القران الكريم هو "اسم لكلام الله تعالى وكتابه المنزل على عبده ورسوله محمد على الله عليه واله سلم، بواسطة جبريل عليه السلام، بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، والمعجز بأقصر سوره"[٢].

قال السيوطي:" هو الكلام المنزل على محمد على الله عليه واله وسلم للإعجاز بسورة منه، فخرج بالمنزل على محمد على الله عليه واله وسلم: التوراة والإنجيل، وسائر الكتب، وبالإعجاز: الأحاديث الربَّانية القدسيَّةُ كحديث الصحيحَينِ: "أنا عند ظنِّ عبدي بي"[٣] وغيره.

وقولنا بسورة منه:" هو بيان لأقل ما وقع به الإعجاز، وهو قدر اقل سورة ، كالكوثر، أو ثلاث آيات من غيرها، بخلاف ما دونها، وزاد بع المتأخرين في الحد: المتعبد بتلاوته؛ ليخرج المنسوخ التلاوة"[٤].

وقال ابن النجار:"الكتاب: القران، وهو، أي: القرآن كلام منزل، أي نزَّله السيّد جِبريل صَلَوات الله وسَلامه عليه "على" قَلبِ سيِّدنا "محمد" رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه وتعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ [٥]، "مُعجِزٌ بنَفْسِه"أي: مقصود به الإعجاز، كما أنَّه مقصود به بيان الأحكامِ والمواعظ، وقَصّ أخبار من قَصَّ في القرآنِ من الأممِ، "مُتعَبَّدٌ بتلاوتِه"لتَخرجَ الآيات المنسوخة اللَّفظ، سواء بَقي حكمها أم لا؛ لأنَّها صارت بعد النَّسخ غير قُرْآن؛ لسُقوط التعبّد بتلاوتها؛ ولذلك لا تعطى حكم القران"[٦]، وقد وفه الله تعالى بأوصاف كثيرة، تدل على عظمته وبركته وتأثيره وشموله،وأنه حاكم على ما قبله من الكتب، والقران الكريم مصدر الشريعة الاسلامية التي بعث بها محمد على الله عليه واله وسلمالى كافة الناس"[٧].

تعريف العقيدة

وهي لغة: "بفتح العين جمعها عقائد، وهي ما عقد عليه القلب واطمأنّ إليه الضمير" [٨]، أو هي" الحكم الذي لا يقبل الشكّ فيه لدى معتقده"[٩].

واصطلاحاً تعرّف: "بأنّها مجموعة المفاهيم و الأفكار عن الكون والحياة والإنسان بدايتها و نهايتها"[١٠].

والعقيدة تمثل المنظومة المعرفيّة والجانب النظري من الفكر الإسلامي، وأمّا الشريعة فهي الجانب العملي التنظيمي للفكر، وبالتالي فهي النظم التّي شرعها الله تعالى لتحديد علاقة المسلم بالله وبأخيه المسلم وبالإنسان والمجتمع والطبيعة[١١].

تعريف الفكر لغةً:

جاءتْ مادَّة "فكر" في "لسان العرب" بمعنى إعْمال الخاطر في الشَّيء[١٢]، وفي "المعجم الوسيط"[١٣]: الفِكرُ مقلوبٌ عن الفرك، لكن يستعمل الفِكرُ في الأمور المعنويَّة، وهو فركُ الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها.

وجاء عند ابن فارس: "فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر"[١٤].

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعًا[١٥]، ولكنَّها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ قال تعالى: " إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ"[١٦] أي فكر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وقدر فيما يقول فيه[١٧]، وقال تعالى: " أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ"[١٨] أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به[١٩].

قال الرازي: "وهو التفكّر، والتأمّل، والاسم الفِكرُ والفِكْرَةُ. والمصدر الفَكْرُ بالفتح وبابه نصر وأفكر في الشيء وفكّر فيه بالتشديد، وتفكَّر فيه بمعنى واحد، ورجل فِكّير بوزن سِكّيت: كثير التفكر"[٢٠].

الاشتقاق اللغوي للتفكر

قال الجوهري: "التفكر: التأمل. والاسم: الفكر والفكرة. والمصدر الفَكر بالفتح"[٢١]، وذكر صاحب اللسان في مادة (فكر) قوله: "الفكر بفتح الفاء، والفكر بكسر الفاء: إعمال الخاطر في الشئ ... والفكرة: كالفكر، وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى ورجل فكيِّر، أي: فسيق، وفكير: كثير الفكر"[٢٢].

وقال الراغب في المفردات: "الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم. والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي "تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله؛ إذ كان الله منزها أن يوصف بصورة"، وقال الله عز وجل:"أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون"[٢٣]، ورجل فكير : كثير الفكرة، قال بعض الأدباء: مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني،وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها"[٢٤].

تعريف الفكر اصطلاحا

ورد تعريف الفكر عند الراغب: "إعمال الخاطر في الشيء"، فقد ورد عند الرَّاغب الأصفهاني بأنَّه: "قوَّة مطردة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب"[٢٥].

وقد جاء في "المعجم الوسيط" "فكر" بمعنى: إعمال العقل في الشَّيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول"[٢٦]، أو: "إعمال العقل في المعْلوم للوصول إلى معرفة مجهول"[٢٧]، كما عرَّفه طه جابر العلواني بأنَّه: "اسم لعمليَّة تردّد القُوى العاقلة المفكّرة في الإنسان، سواء أكان قلبًا أو روحًا أو ذهنًا، بالنَّظر والتدبُّر لطلب المعاني المجْهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحْكام، أو النسب بين الأشياء"[٢٨].

مفهوم التدبر لغة

التدبر مفردة في اللغة مشتقة من مادة "د ب ر" وهي" تدل على آخر الشي وخلفه، يقال دبَّر الشيء وتدبَّره: نظر في عاقبته واستدبره رأى في عاقبته كا لم ير في دره، والتدبر في الامر: التفكر فيه"[٢٩].

التدبر اصطلاحا(عند المفسرين)

سنورد بعض الأقوال لبعض المفسرين في خصوص التعريف الاصطلاحي للتدبر منها:

١- قال الآلوسي:" وال التدبر: التأمل في إدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"[٣٠].

٢- وقال ابن القيم:" هو تحقيق ناظر القلب إلى معاني القران، وجمع الفكر على تأمله وتعقله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر"[٣١].

٣- وقال السيوطي: "وتسن القراءة بالتدبر والتفهم.. وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ أو تنزيه نُزّه وعظُم، أو دعاء أو تضرع وطلب"[٣٢].

٤- وقال الشوكاني:" إن التدبر هو التأمل، لفه المعنى، يقال: "تدبرت الشيء، تفكرت في عاقبته وتأملته، ثم استعمل في كل تأمل، والتدبر أن يدبر الإنسان أمره، كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته"[٣٣].

اشتراك المفهومين في المعاني

التذكر، والنظر، والاعتبار، والتدبر، والاستبصار... إلى غيرها من المعاني المتقاربة. أورد ابن القيم هذه المرادفات للتفكر وعقب على ذلك بقوله: "وهذه معان متقاربة تجتمع في شئ وتتفرق في آخر، ويسمى تفكّرا؛ لأنه استعمال الفكر في ذلك وإحضاره عنده، ويسمَّى تذكرًا؛ لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى: "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون"[٣٤]

ويسمى نظرا؛ لأنه التفات بالقلب الى المنظور فيه، ويسمى تأملا؛ لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له وينكشف لقلبه،ويسمى اعتبارا وهو افتعال من العبور؛ لأنه يعبر منه إلى غيره فيعبر من ذلك الذي قد فكّر فيه إلى معرفة ثالثة، وهي المقصود من الاعتبار ولهذا يسمى عبرة، وهي بناء على الحالات – كالجلسة والقتلة– قال الله تعالى: "إن في ذلك لعبرة لمن يخشى"(٣٥)، وقال: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ"[٣٦].

ويسمَّى تدبرًا؛ لأنه نظر في أدبار الأمور – وهي أواخرها وعواقبها – ومنه تدبّر القول، وقال تعالى: "أَفَلَمْ يَدَّبَّروا الْقَوْلَ"[٣٧]؟ "أفلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"[٣٨]، وتدبر الكلام ان ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء بناء على التفعّل كالتجرع والتفهم والتبيّن".

وسمي استبصارا وهو استفعال من التبصّر؛ وهو تبيّن الأمر وانكشافه وتجلّيه للبصيرة. وكلٌّ من التذكّر والتفكّر له فائدة غير فائدة الآخر؛ فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعمله وعرفه ليرسخ فيه ، وليثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكّر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب.

وقد جاء التنويه بهذه النعمة العظيمة التي يعرف بها الحق من الباطل ، والنافع من الضار في من آية في كتاب الله عز وجل كما في قوله تعالى: "وَاللَّه أَخْرَجَكمْ مِنْ بطونِ أمَّهَاتِكمْ لا تَعْلَمونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكم السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكمْ تَشْكرونَ"[٣٩]، وقوله سبحانه:" قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة

قليلا ما تشكرون"[٤٠].

ونبه سبحانه في مواضع كثيرة من القران الكريم إلى أن آياته المتلوّة والمشاهدة وآياته في آلائه ونعمه لا ينتفع بها إلا أولو العقول والألباب والتفكير الصحيح؛ من ذلك قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلون"[٤١] وقوله سبحانه: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ"[٤٢]، وقوله تعالى وهو يؤكد على التفكير في الفرق بين الهدى والضلال: "قلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِير أَفَلا تَتَفَكَّرونَ"[٤٣]، وقوله تعالى: "قل إِنَّما أَعظكمْ بِواحدة أَنْ تَقوموا للَّه مثْنى وفرادى ثمَّ تتفكَّروا ما بِصاحبكم من جنَّة"[٤٤]

وقد أنكر الله عز وجل على أولئك الذين عطَّلوا عقولهم وبصائرهم وأفكارهم؛ فلم يستدلوا بها على خالقهم ورازقهم سبحانه، ولم ينتفعوا بما يشاهدونه من آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس، ولم يتدبروا في آياته وما ورد فيها من النور والهدى والشفاء، وقال الله عز وجل عن هؤلاء المعطِّلين لعقولهم: " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهمْ قلوبٌ لا يَفْقَهونَ بِهَا وَلَهمْ أَعْينٌ لا يبْصِرونَ بِهَا وَلَهمْ آذَانٌ لا يَسْمَعونَ بِهَا أولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ همْ أَضَلّ أولَئِكَ هم الْغَافِلون"[٤٥]، وقال عز وجل: "أَفلمْ يسيروا في الْأَرضِ فَتكون لَهمْ قلوبٌ يعْقلون بِها أَوْ آذان يَسمعون بِها فَإِنَّها لا تَعمى الأَبْصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"[٤٦]، وقال تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّروا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ"[٤٧]، وقال تعالى في الحث والتأكيد على إعمال العقل في تدبر القرآن: "أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها"[٤٨]، وقال تعالى: "أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين"[٤٩]

وفي ضوء ما سبق من الآيات يتبين لنا أن الله جلت قدرته يدعو عباده إلى التعرف عليه وعلى أسمائه وصفاته وآثارها عن طريقين: أحدهما: بالنظر في آيات الله المشاهدة في الآفاق والنفس وما فيها من العظمة والحكمة والرحمة والإتقان، والتي تدل على خالقها سبحانه وعلى أسمائه وصفاته.

الثاني: بالنظر في آياته المتلوّة في كتابه العزيز كما في قوله تعالى: "كتَابٌ أَنْزلْناه إِليك مباركٌ لِيدَّبَّروا آياته وليتذكر أولو الأَلْباب"[٥٠]، وقوله سبحانه : "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون"[٥١].

وهذان الطريقان من النظر والتفكير يؤديان إلى إدراك عظمة الخالق عز وجل، وحكمته ورحمته وسعة علمه وقدرته وقوته وعزته وسائر صفاته العليا وأسمائه الحسنى، وهذا بدوره يؤدي إلى إفراده سبحانه بالمحبة والتعظيم والذل والخضوع والعبادة، وإلى اليقين بأن هذا الكون قائم على الحق وبالحق، وأن الخلق سيرجعون إلى ربهم سبحانه في يوم لا ريب فيه، فيستعدوا لذلك ويعملوا الفكر في الدنيا والآخرة وحقيقة كل منهما، فقد قال تعالى:"كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة"[٥٢].

المبحث الثاني: الآيات القرآنية الدالة على المفاهيم المتقدمة

أولا: الآيات الدالة على التفكر والتبصر

يقول الله عز وجل في هذا الخصوص: "إِنَّ في خَلْقِ السَّماوات والْأَرْضِ واخْتلاف اللَّيْلِ والنهارِ والْفلك الَّتي

تجري في الْبحرِ بِما ينفَع النَّاس وما أَنزل اللَّه من السَّماء من ماء فَأَحْيا بِه الْأَرض بعْد موْتها وبثَّ فيها منْ كلِّ دابَّة وتَصْرِيف الرِّياحِ والسَّحاب الْمسخَّر بيْنَ السَّماء والْأَرضِ لَآياتٍ لقَوْمٍ يعْقلون"[٥٣].

ويعلق ابن كثير على هذه الآية بقوله: يقول تعالى: "إن في خلق السموات والارض"؛ تلك في ارتفاعها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في انخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها وَوِهادها وعمْرانها وما فيها من المنافع. "واختلاف الليل والنهار" هذا يجئ ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه، لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: "لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون"[٥٤]، وتارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان، كما قال تعالى: "يولج اللَّيْل في النَّهار ويولج النَّهار في اللَيل"[٥٥] أي: يزيد من هذا في هذا، ومن هذا في هذا. "والفلْك الَّتي تجْري في البحْرِ بِما ينْفع النَّاس" أي: في تسخير البحر لحمل السفن من جانب إلى جانب لمعاش الناس، والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم، ونقل هذا إلى هؤلاء، وما عند هؤلاء إلى هؤلاء، قال تعالى: "وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها"؛ كما قال تعالى: "و آية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون"[٥٦]. "وبثَّ فيها منْ كلِّ دابَّة"أي: على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شئ من ذلك ، كما قال الله تعالى: "وما من دابة في الأرض إلا على الله وزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين"[٥٧]. "وتصريف الرّياحِ"أي: تارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه. "والسحاب المسخر بين السماء والأرض"، يسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن، كما يصرفه تعالى"لآيات لقوم يعقلون"، أي: في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى؛ كما قال تعالى: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار"[٥٨].

ثانيا: الآيات الدالة على الحث على التفكر والتدبر

وفي مقام الحث على التفكر والتدبر وردت آيات كثيرة في القران الكريم منها قوله تعالى: "كتاب أنزلناه إليك مباركا ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب"[٥٩]. وقوله تعالى: " أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها"[٦٠]. وقوله تعالى: "لو أنزلنا هذه القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"[٦١]. وقوله تعالى: "أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين"[٦٢] وقوله تعالى: " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون"[٦٣]، وقوله تعالى: "ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر"[٦٤]. وقوله تعالى: "فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون"[٦٥] وقوله تعالى: "والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا"[٦٦] وقوله تعالى: "أفلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

كثيرا"[٦٧] وقوله تعالى: "وانه لتذكرة للمتقين"[٦٨] وقوله تعالى: "لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون"[٦٩].

ثالثا: آيات الله الآفاقية الدالة على التفكر

أما في مجال الدلالة على التفكر والتدبر من خلال الآيات الآفاقية فقوله تعالى: " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار"[٧٠] وقوله تعالى: "وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[٧١]. وقوله تعالى: "هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية بقوم يتفكرون"[٧٢] وقوله تعالى: "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي يبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون"[٧٣] وقوله تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها... الآية"[٧٤] وقوله تعالى: "ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"[٧٥] وقوله تعالى: "واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون"[٧٦] وقوله تعالى: "وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون"[٧٧] وقوله تعالى: "وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"[٧٨] وقوله تعالى: "أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون"[٧٩] وقوله تعالى: "وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون"[٨٠] وقوله تعالى: "وفي الأرض آيات للموقنين"[٨١] كل هذه الآيات فيها دلالة واضحة وصريحة على أهمية التفكر والتدبر.

رابعا: آيات التفكر والتبصر في الإنسان وكيفية خلقه

الإنسان وكيفية خلقه من الأمور التي ورد ذكرها في القران الكريم وقد وردت فيه آيات تلزم الإنسان بضرورة أن يتدبر ويتفكر في وجوده وكيفية نشأته، ومن ذلك قوله تعالى : "أولم يَتفكروا في أَنْفسهِم ما خلق اللَّه السَّماوات والْأَرْض وما بينهما إِلَّا بِالْحقّ وأَجلٍ مسمّى وإِنَّ كثيراً من النَّاس بِلقَاء ربّهِم لكافرون"[٨٢] وقوله تعالى: " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم

يسمعون"[٨٣] وقوله تعالى:"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق من ربهم أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد"[٨٤] وقوله تعالى:" وفي أنفسكم أفلا تبصرون"[٨٥] وقوله جلت قدرته:" هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون"[٨٦] وقوله تعالى:"ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون"[٨٧] وقوله جلت آلاؤه:"أولا يذكر الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا"[٨٨] وقوله تعالى: "فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق"[٨٩]

خامسا: آيات الحث على التفكر والتبصر في النعم الإلهية

من جملة ما أشار إليه القران الكريم هو النعم الإلهية بمختلف صورها وحث على التفكر فيها ببصيرة، ومن ذلك قوله تعالى:"الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات والأرض جَمِيعاً مِنْه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ"[٩٠] وقوله تعالى: "هوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكمْ مِنْه شَرَابٌ وَمِنْه شَجَرٌ فِيهِ تسِيمونَ ينْبِت لَكمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وَمَا ذَرَأَ لَكمْ فِي الْأَرْضِ مخْتَلِفاً أَلْوَانه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرونَ"[٩١] وقوله تعالى: " والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وَجَعَلَ لَكمْ سَرَابِيلَ تَقِيكم الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكمْ بَأْسَكمْ كَذَلِكَ يتِمّ نِعْمَتَه عَلَيْكمْ لَعَلَّكمْ تسْلِمونَ"[٩٢] وقوله تعالى: "وَسَخَّرَ لَكم الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكمْ مِنْ كلِّ مَا سَأَلْتموه وَإِنْ تَعدّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تحْصوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلومٌ كَفَّارٌ"[٩٣] قوله تعالى: "أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم"[٩٤] وقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكمْ نِعَمَه ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير"[٩٥] وقوله جلا قدراه:"واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به"[٩٦] وقوله تعالى: "قلْ أَرَأَيْتمْ إِنْ جَعَلَ اللَّه عَلَيْكم اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْر اللَّهِ يَأْتِيكمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعونَ قلْ أَرَأَيْتمْ إِنْ جَعَلَ اللَّه عَلَيْكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكنوا فِيهِ وَلِتَبْتَغوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكمْ تَشْكرونَ"[٩٧] وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسوق الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجرزِ فَنخْرِج بِهِ زَرْعاً تَأْكل مِنْه أَنْعَامهمْ وَأَنْفسهمْ أَفَلا يبْصِرونَ"[٩٨] وقوله تعالى: "لِتَسْتَوا عَلَى ظهورِهِ ثمَّ تَذْكروا نِعْمَةَ رَبِّكمْ إِذَا اسْتَوَيْتمْ عَلَيْهِ وَتَقولوا سبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كنَّا لَه مقْرِنِينَ"[٩٩]

سادسا: آيات الحث على التفكر والاعتبار من خلال النظر في سيرة الأنبياء

العبرة والاعتبار من النظر في سيرة الأنبياء والتفكر في تلك السيرة ذات اللون القصصي الذي يوصل المتفكر فيها إلى قوة الاعتقاد وترسيخه لما لها من الأثر الواضح على إثبات الدليل القطعي بصدورها من السماء

، كما في قوله تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون"[١٠٠] وقوله جلت قدرته" وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون"[١٠١] وقوله تعالى: "وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ"[١٠٢] وقوله تعالى: "وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مدَّكِرٍ"[١٠٣] وقوله تعالى: "فَاقْصصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهمْ يَتَفَكَّرونَ"[١٠٤] وقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكمْ فَهَلْ مِنْ مدَّكِرٍ"[١٠٥] وقوله تعالى: " وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور"[١٠٦] وقوله تعالى: "مَثَل الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرونَ"[١٠٧] وقوله تعالى: " وما أهلكنا من قرية إلا ولها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين"[١٠٨] وقوله تعالى: "إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاء حَمَلْنَاكمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أذنٌ وَاعِيَةٌ"[١٠٩] وقوله تعالى: "وَكلّاً نَقصّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرّسلِ مَا نثَبِّت بِهِ فؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمؤْمِنِينَ"[١١٠] وقوله تعالى: "قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين"[١١١] وقوله تعالى عن إجلاء بني النضير: " فاعتبروا يا أولي الأبصار"[١١٢]

سابعا: القرآن الكريم والحث على التفكر في النفس

النفس هذا المصطلح الذي اختلف الفلاسفة والمفكرون في بيان حقيقته ورد ذكره في العديد من الآيات القرآنية وجعلتها تلك الآيات محورا للمساءلة وتحمل المسؤولية عند الحساب، فقد ورد التأكيد على ضرورة التفكر فيها، كقوله تعالى: "يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وَلْتَنْظرْ نَفْسٌ ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبر بما يعملون"[١١٣]، وقوله تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها "[١١٤] وقوله تعالى: "أَوَلَمْ نعَمِّرْكمْ مَا يَتَذَكَّر فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكم النَّذِير فَذوقوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ"[١١٥] وقوله تعالى: "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون"[١١٦] وقوله تعالى: "يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتَني كنت ترابا"[١١٧] وقوله تعالى: "أَتَأْمرونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفسَكمْ وَأَنْتمْ تَتْلونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلونَ"[١١٨] وغيرها من الآيات التي أشارت إلى هذا المصطلح ذي الأهمية والمكانة في تحديد نوعية العلاقة بين الإنسان وخالقة.

ثامنا: التأكيد على التفكر في الدنيا والآخرة

الدنيا والآخرة مفهومان يسيران جنبا إلى جنب وقد ذكرا في آيات القران الكريم بالمناصفة وهما محورا الحياة بمفهومها العام الجامع للحياتين المذكورتين صراحة في القران الكريم، وقد ورد الحث والتأكيد على ضرورة التفكر بهما، كقوله تعالى: " كذلك يبين لله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة"[١١٩] وقوله تعالى: " والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون"[١٢٠] وقوله تعالى: " وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون"[١٢١] وقوله تعالى: " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مِمَّا يَأْكل النَّاس وَالْأَنْعَام حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْض زخْرفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلهَا أَنَّهمْ قَادِرونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون"[١٢٢] وقوله جلت قدرته: "أَمَّنْ هوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَر الْآخِرَةَ وَيَرْجو رَحْمَةَ رَبِّهِ قلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمونَ وَالَّذِينَ

لا يَعْلَمونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّر أولو الْأَلْبَابِ"[١٢٣] وغيرها من الآيات التي أشارت إلى الدنيا والآخرة كمحطتين للحياة مرتبطتين معا.

تاسعا: التفكر في آيات الله الخارقة

يعتبر التفكر في الآيات الخارقة طريقا لترسيخ الاعتقاد بالخالق وصفاته ؛ إذ من خلالها يذعن الإنسان بقدرة الله تعالى ويعتقد بها مطلقا ،أي لا حدود لها؛ وبذا تترسخ العقيدة عنده من خلال ذلك التفكر والتدبر والوقوف عند نتائجه، التي من خلالها يقف المتدبر على عظيم قدرة الخالق جل وعلا، ومن ذلك قوله تعالى: "وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضْرِبوه بِبعضها كَذَلك يحْيِي اللَّه الْموْتَى ويريكمْ آياته لعلّكمْ تعْقلون"[١٢٤] وقوله تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْتم الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكمْ فِي السَّبْتِ فَقلْنَا لَهمْ كونوا قردة خاسئين فَجعلْناها نَكَالاً لِما بَيْن يَدَيْها وَما خَلْفَها وَموْعظَةً للْمتَّقِين"[١٢٥] وقوله تعالى: "أَوْحَيْنَا إِلَى موسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا موسَى وَمَنْ مَعَه أَجْمَعِينَ ثمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرهمْ مؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيز الرَّحِيم"[١٢٦] ، وقد ختمنا بالآيتين الأخيرتين قصة كل نبي في سورة الشعراء؛ وجاء ذلك بعد انجاء المؤمنين وأخذ المكذبين بالعذاب الشديد الذي هو آية خارقة وآية للمعتبرين.

وقوله جلت قدرته لموسى عليه السلام: "وكلمه ربه قال ربي ارني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين"[١٢٧] وقوله تعالى: "ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص واحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تذخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين "[١٢٨] وقوله تعالى: "فَأَنْجَيْنَاه وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ"[١٢٩] وقوله تعالى: "فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون"[١٣٠] وغيرها من الآيات التي تشير إلى هذا المنحى.

المبحث الثالث: أثر التفكر والتدبر في ترسيخ العقيدة

يعتبر التفكر والتدبر في آيات القران الكريم مفتاحا لمغاليق أبواب خزائن المعارف والعلوم، ولابد للسلوك الإنساني من مقدمة له وهو مقدمته، ولقد أكد القران الكريم عليه، بل ورد الحث عليه إلى حد يلزم الإنسان بالاعتقاد بوجوبه؛ لكي يدرك الكمال بالعقيدة، وكذا نحت الأحاديث الشريفة هذا المنحى، بل عظمت مكانة التدبر والتفكر بما ورد في القران الكريم بهذا الخصوص، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه واله: "إِنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ" وأيضا ورد بهذا الخصوص عنه صلى الله عليه واله "إِنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةٍ"[١٣١] وفي رواية: "سَبْعِينَ سَنَةٍ" [١٣٢] كما ورد عن الأمام الصادق (ع): "أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِدمانُ التَّفَكّرِ فِي الله وَفِي قُدْرَتِهِ"[١٣٣] ، وكذا: "تَفَكُّر سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ" كما ورد عن الإمام الحسين(ع) انه قال: "كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نَبِّهْ بَالتَفَكُّرِ قَلْبَكَ وَجافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ وَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ"[١٣٤]، والذي يظهر من

السياقات المتقدمة أن للتفكر والتدبر في آيات الكتاب الكريم مراتب، بمعرفتها يتم ترسيخ العقيدة بمختلف جوانبها سواء كان التفكر والتدبر في الله نفسه أو في تجليات أفعاله كالنبوة مثلا، أو بما خلق وأحوال ما خلق.

المرتبة الأولى: التفكُّر في الخالق نفسه وصفاته وتجليات أفعاله

أولى مراتب التفكُّر والتدبر هي في الخالق تعالى وصفاته وتجلبان أفعاله، ويترتب على ذلك العلم بوجوده وبتجلّيات أفعاله، وهذه المرتبة هي أفضل المراتب، وأعلاها علوما، وأتقنها برهانا؛ إذ إنّ الالتفات إلى العلّة الموجدة نفسها، والتفكُّر في كونها السبب المطلق، يوصل الإنسان إلى العلم بالسبب وبالمسبَّبات وما يكتنفهما من أحوال، وبالتالي تزداد العقيدة ترسخا لدى طالبها عن هذا الطريق، أقصد التفكر والتدبر في الخالق وتجليات أفعال، التي أشارت إليها ألسنة الكثير من الآيات التي مرت في البحث من قبيل: سورة الجاثية: ١٢، ١٣، سورة النحل: ١٠-١٣، ١ سورة النحل: ٨١، سورة إبراهيم: ٣٣، ٣٤، سورة النحل: ١٧، ١، سورة لقمان: ٢٠، سورة البقرة: ٢٣١، سورة القصص: ٧١-٧٣، سورة السجدة: ٢٧، سورة الزخرف: ١٣.

المرتبة الثانية: التفكُّر فيما خلق

هذه المرتبة تأتي بالرتبة الثانية بعد المرتبة الأولى من مراتب التفكُّر والتدبر، إذ يعتبر التفكُّر في روائع الصنعة وإتقانها ودقائق الخلق، من شؤونات القوى العاقلة المدركة، بما يتناسب مع قدرتها على التفكر والتدبر بما حولها من حقائق تحتاج إلى ذلك النوع من التأمل، وينتج عن هذه العملية معرفة الصانع لباقي المصنوعات التي هي من تجليات أفعاله، ويترتب على ذلك كله الاعتقاد بالسبب الأول الموجد لباقي المسببات، وتترسخ تلك العقيدة في هذا المجال، ويسير السلوك المعرفي لدى الإنسان بموجبها، وبها يضمن السلامة في الفكر لديه، وهنا يكون التفكر والتدبر خير من العبادات ذات السنوات المذكورة في السنة الأحاديث الشريفة المزبورة آنفا، وكما شارت إليه الآيات التي أوردناها في مطاوي البحث من قبيل: سورة الروم: ٨، سورة الروم:٢٠-٢٣، سورة فصلت: ٥٣، سورة الذاريات:٢١، سورة غافر: ٦٧، سورة يس: ٦٨، سورة مريم: ٦٧، سورة الطارق: ٥، ٦.

المرتبة الثالثة: التفكُّر في أحوال نفس المخلوق

في هذه المرتبة بالذات يدور التفكر والتدبر حول وفي أحوال النفس المخلوق، مما ينتج عنه الحصول والوصول إلى معارف عديدة، وسنركز على نتيجتين رئيستين: الأولى: الاعتقاد بيوم المعاد، والثانية: الاعتقاد بضرورة إرسال الرسل وإنزال الكتب، الحاوية على الشرائع بكل تفاصيلها، وسنبين الأمر في هاتين النتيجتين:

الأولى: الاعتقاد بيوم المعاد

من الواضح أن المخلوق العاقل بحسب النظرة الفلسفية الإسلامية، مكون من المادة والنفس، وهذه النفس

تزداد ادراكاتها العقلية كلما تقدم الإنسان بالعمر، وهذا ما أشارت إليه ألسنة الآيات القرآنية "حتى إذا بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين"[١٣٥] وينكشف من هذا أنّ القوى العقلية ليست من جهات الجسم؛ إذ لو كانت كذلك لطرأ عليها الضعف، ومن هنا نحكم بأنها ليست جسما ولا من جهات الجسم.

كما يمكننا تعزيز ذلك بأن النفس وقواها تختلف في شؤوناتها عن شؤونات الأجسام؛ إذ لا يمكن للأجسام أن تعرض عليها أكثر من عرض بخلاف النفس يمكنها ذلك، من قبيل يمكنها أن ترسم صورا متعددة لا يمكن رسمها على الأجسام إلا بإزالة الصورة الأولى، ويكفي أن يكون هذا التعزيز دليلا على أنّها ليست جسماً، وهذا الحكم يجري في جميع الأجسام بضرورة العقل، أمّا النفس فتختلف تماماً، ففي الوقت الّذي تكون هناك صورة مرسومة فيها، يمكن رسم صورة أخرى مضادة لها من دون زوال الصورة الأول، كما إنّه يمكن أن ترتسم الصور المتناهية في الجسم، أما النفس فهي محل للصور غير المتناهية؛ ولذا نجدها تصدر أحكامها على الأمور غير المتناهية.

إذن النفس تتضاد مع جميع الأجسام في الخصائص والآثار والأفعال، بتعبير أدق هي ليست من سنخ الجسمانيات، وبما أن الفساد من لوازم الجسمانيات نستنتج أنّ النفس لا تفسد بفساد الجسم بمفارقتها له، بل يكون لها عالم آخر، وهذا هو المعاد الروحي للنفوس والأرواح قبل يوم القيامة وفقا للرؤية الإسلامية، مما يعزز ترسيخ العقيدة لدى المعتقد بها، كما دلنا على ذلك الآيات العديدة التي تناولت التفكر والتدبر في النفس من قبيل: سورة الحشر: ١٨، سورة سبأ: ٤٦، سورة فاطر: ٣٧، سورة البقرة:٢٨١، سورة النبأ: ٤٠، سورة الأعراف: ١٨٥، سورة الأنعام: ٥٠، سورة البقرة: ٤٤.

الثانية: الاعتقاد بان الخالق يرسل الرسل وينزل معهم الكتب

من الواضح أنّ الجسمانيات من خصائصها الصحّة والاعتلال، والصلاح والفساد، والسعادة والشقاء، فإدراك خصائصها الدقيقة لا يمكن لأحد أن يحيط بها سوى الخالق الموجد لها وحده، العالم الخبير المحيط بها، الذي لا تطرأ عليه أحوالها؛ لأنه منزه عنها، ومن باب اللطف بالعباد ولأجل استطبابهم وصلاحهم وجب على الخالق جلت قدرته أن يرسل الرسل ومعهم دساتير الشفاء لكل ما يعتريهم من المرض والفساد والشقاء وغير ذلك مما يطرأ على الجسمانيات.

وقد تبين من هاتين النتيجتين الاعتقاد بان: الشريعة هي الكفيلة بإصلاح الأمراض التي تعتري النفس، ولا يمكن توفرها إلاّ عند الخالق وحده، وان من يقوم بإبلاغها هم الأنبياء والرسل الذين يبعثهم الله لصحة النفوس مما يعرض عليها من الصحة والاعتلال وغير ذلك، وهذا معناه ترسيخ الاعتقاد بالنبوة بمختلف أنواعها التي وردت

في آيات القران الكريم والتي منها: سورة يوسف: ١١١، سورة الصافات: ١٣٧، ١٣٨، سورة العنكبوت: ٣٥، سورة القمر: ١٥، سورة الأعراف: ١٧٦، سورة القمر: ٥١، سورة إبراهيم: ٥، سورة هود: ٢٤، سورة الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩، سورة الحاقة: ١١، ١٢، سورة هود: ١٢٠، سورة الأنعام: ١١، سورة الحشر: ٢.

كما أن الاعتقاد بالنبوة يعتبر دليلا على وجود الخالق المحيط بدقائق الأمور، وكذا اعتقادنا بالشريعة الكاملة التي تتكفل بكل ما يحتاجه المخلوق العاقل سواء على مستوى الحاجة المادية أو المعنوية في الحياة الدنيا والحياة الأخرى فردا كان أم جماعة، هو طريق لإثبات الخالق ذي الشؤونات المتفردة.

الخاتمة

حاصل البحث أن التدبر والتفكر مفهومان من خلالهما يمكن الوقوف على المعاني والعواقب؛ تفكرا وتبصرا وإحاطة وتفهما وتدقيقا وتحقيقا واستنباطا وتمحيصا بقصد الانتفاع والامتثال والتطبيق وتجسيد مراد الله من إرسال الرسل إلى الخلق لأجل هدايتهم وكمالهم، ولا شك في أن النظر في القران الكريم، يدلنا على ألوان شتى من التدبر والتفكر وغاياتهما، ومنافعهما وثمراتهما، من قبيل حضور القلب، وصفاء السمع، وإمعان النظر، وإعمال العقل، وإخلاص النية، والحرص على التوبة واستدامتها، وتغييرا للمسارات الخاطئة، واستكمالا لليقين، وتحقيقا للهدف من نزول القرآن وبعثة الأنبياء والمرسلين وبيان اثارهما في ترسيخ العقيدة الحقة.

المصادر

القران الكريم

ابن قيم، الجوزية، مدارج السالكين، طبعة القاهرة، دون تاريخ.

ابن منظور، محمد بن المكرّم، لسان العرب، طبعه دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٣هـ.ق.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: مكتبة الإعلام الإسلامي ١٤٠٤.

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط: الأولى: ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م. طبعة المشهد الحسيني بمصر.

الأصفهاني، الحُسين بن محمد المعروف بالرّاغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨

الطبري، محمد بن جرير (ت/٣١٠هـ)، جامع البيان، دار الفكر . بيروت، ط١ – ١٤٢١ هـ.

القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري، جامع لأحكام القرآن، طبعه دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

الآلوسي، محمود، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، فتح القدير، نشر عالم الكتب.

البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، (٢٥٦ هـ) دار الفكر، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة بيروت 1407هـ.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، نشر رئاسات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٠هـ.

عبد الباقي، فؤاد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

الفراهيدي، أحمد بن خليل، العين، انتشارات أسوة، قم المقدسة، ط١ . ١٤١٤هـ .

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت: ١٤١٥ – ١٩٩٥.

ابراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ط٤، ١٤١٢هـ، نشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية إيران.

الهوامش

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٥، ص٧٩، الغريبين، الهروي ج٥، ص ١٥١٦، التفسير البسيط الواحدي، ج٣، ص ٥٧٧، النهاية، ابن الأثير، ج٤، ص٣٠.

(٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة ج١، ص١، تفسير القرطبي، ج٢، ص٢٩٨، الواضح في علوم القرآن، مصطفى البغا ومحيى الدين مستو، ص: ١٥، المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار، ص: ٢٢.

(٣) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)

(٤) التحبير في علم التفسير، ص: ٣٩.

(٥) .البقرة: ٩٧

(٦) شرح الكوكب المنير، ج٢، ص٧.

(٧) أصول في التفسير، ص: ٦.

(٨) قلعجي، محمّد، معجم لغة الفقهاء، ص٣١٨.

(٩) الدكتور سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ص٢٥٦ .

(١٠) الشمري، عبد الغني شكر، هذه عقيدتنا، ص١٠.

(١١) انظر: مكي الشمري، عبد الغني شكر، هذه عقيدتنا، ص١٠.

(١١) انظر: د. محمّد كاظم، النظم الإسلاميّة، ص٨٨ .

(١٢) لسان العرب، ابن منظور: مادة (فكر) .

(١٣) انظر المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، طبعة المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)، الجزء الثاني مادة (فكر) . ص٦٩٨.

(١٤) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عن دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ /١٩٩١م، مادة (فكر)، الجزء الرابع ص٤٤٦.

(١٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، عن المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، (بدون تاريخ)، مادة (فكر)، ص٥٢٥.

(١٦) سورة المدثر:١٨

(١٧) تفسير الطبري، ج٢٤، ص ٢٣.

(١٨) سورة الأنعام:٥٠

(١٩) التفسير الميسر، ج١، ص ١٣٣.

(٢٠)الرازي، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ج١، ص٢١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، جمال الدين، ج٥، ص٦٥.

(٢١)الرازي، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ج١، ص٢١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، جمال الدين، ج٥، ص٦٥.

(٢٢)ابن منظور، لسان العرب،ج٥، ص٣٤٥١.

(٢٣) سورة الروم: ٨.

(٢٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٣٨٤.

(٢٥) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني مادة (فكر) بتحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى ١٤١٢ه، ١٩٩٢م، دار العلم بدمشق، والدار الشامية، ص ٨٣، ٦٤٣.

(٢٦) المعجم الوسيط، الجزء الثاني ص٦٩٨.

(٢٧) المعجم الوسيط، الجزء الثاني ص٦٩٨.

(٢٨) الأزمة الفكرية، طه جابر العلواني: ص٢٧.

(٢٩) مقاييس اللغة لابن فارس. ج٢، ص٣٢٤: ولسان العرب لابن منظور، ج٤، ص٢٣٧

(٣٠) روح المعاني، ج٥، ص٩٢

(٣١) مدارج السالكين لابن القيم، ج١:،٤٧٥

(٣٢) الإتقان في علوم القرآن،: ج١، ص١٢٧

[٣٣] فتح القدير، ج١، ص٤٩١

[٣٤] سورة الأعراف: ٢٠١.

[٣٥] سورة النازعات: ٢٦.

[٣٦] آل عمران: ١٣.

[٣٧] المؤمنون: ٦٨.

[٣٨] سورة النساء: ٨٢

[٣٩] سورة النحل:٧٨.

[٤٠] سورة الملك:٢٣.

[٤١] سورة النحل: ١٢، الروم: ٢٤، الرعد: ٤.

[٤٢] الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣، الرعد: ٣.

[٤٣] سورة الأنعام: ٥٠.

[٤٤] سورة سبأ: من الآية٤٦.

[٤٥] سورة الأعراف:١٧٩.

[٤٦] الحج:٤٦.

[٤٧] سورة الأعراف: ١٨٤.

[٤٨] سورة محمد:٢٤.

[٤٩] سورة المؤمنون:٦٨.

[٥٠] سورة ص:٢٩.

[٥١] سورة النحل: ٤٤.

[٥٢] سورة البقرة: ٢١٩، ٢٢٠.

[٥٣] سورة البقرة:١٦٤

[٥٤] سورة يس:٤٠

[٥٥] سورة فاطر: من الآية١٣

[٥٦] سورة يس: ٣٣-٣٦.

[٥٧] سورة هود: ٦.

[٥٨] سورة آل عمران: ١٩٠،١٩١.

[٥٩] سورة ص: ٢٩.

[٦٠] سورة محمد: ٢٤.

[٦١] سورة الحشر: ٢١.

[٦٢] سورة المؤمنون: ٦٨.

[٦٣] سورة النحل: ٤٤.

[٦٤] سورة القمر: ١٧.

[٦٥] سورة الدخان: ٥٨.

[٦٦] سورة الفرقان: ٧٣.

[٦٧] سورة النساء: ٨٢.

[٦٨] سورة الحاقة: ٤٨.

[٦٩] سورة الأنبياء: ١٠.

[٧٠] آل عمران:١٩٠،١٩١.

[٧١] سورة الرعد: ٣.

[٧٢] سورة النحل: ١٠، ١١.

[٧٣] سورة النحل: ٦٨، ٦٩.

[٧٤] الحج: ٤٦.

[٧٥] سورة: ٢٤.

[٧٦] سورة الجاثية: ٥.

[٧٧] سورة المؤمنون:٨٠.

[٧٨] سورة النحل: ١٢.

[٧٩] سورة السجدة: ٢٧.

[٨٠] سورة النحل: ٦٦، ٦٧.

[٨١] سورة الذاريات: ٢٠.

[٨٢] سورة الروم: ٨.

[٨٣] سورة الروم:٢٠-٢٣.

[٨٤] سورة فصلت: ٥٣.

[٨٥] سورة الذاريات: ٢١.

[٨٦] سورة غافر: ٦٧.

[٨٧] سورة يس: ٦٨.

[٨٨] سورة مريم: ٦٧.

[٨٩] سورة الطارق: ٥، ٦.

[٩٠] سورة الجاثية: ١٢، ١٣.

[٩١] سورة النحل: ١٠-١٣.

[٩٢] سورة النحل: ٨١.

[٩٣] سورة إبراهيم: ٣٣، ٣٤.

[٩٤] سورة النحل: ١٧، ١.

[٩٥] سورة لقمان: ٢٠.

[٩٦] سورة البقرة: ٢٣١.

[٩٧] سورة القصص: ٧١-٧٣.

[٩٨] سورة السجدة: ٢٧.

[٩٩] سورة الزخرف: ١٣.

[١٠٠] سورة يوسف: ١١١

[١٠١] سورة الصافات: ١٣٧، ١٣٨.

[١٠٢] سورة العنكبوت: ٣٥.

[١٠٣] سورة القمر: ١٥.

[١٠٤] سورة الأعراف: ١٧٦.

[١٠٥] سورة القمر:٥١.

[١٠٦] سورة إبراهيم: ٥.

[١٠٧] سورة هود: ٢٤.

[١٠٨] سورة الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩.

[١٠٩] سورة الحاقة: ١١، ١٢.

[١١٠] سورة هود:١٢٠.

[١١١] سورة الأنعام:١١

[١١٢] سورة الحشر: ٢.

[١١٣] سورة الحشر: ١٨.

[١١٤] سورة سبأ: ٤٦.

[١١٥] سورة فاطر: ٣٧.

[١١٦] سورة الشمس:٧- ٨.

[١١٧] سورة النبأ: ٤٠.

[١١٨] سورة البقرة: ٤٤.

[١١٩] سورة البقرة: ٢١٩، ٢٢٠.

[١٢٠] سورة الأعراف: ١٦٩.

[١٢١] سورة الأنعام: ٣٢

[١٢٢] سورة يونس: ٢٤.

[١٢٣] سورة الزمر: ٩.

[١٢٤] سورة البقرة: ٧٢، ٧٣.

[١٢٥] سورة البقرة: ٦٥، ٦٦.

[١٢٦] سورة الشعراء: ٦٣-٦٨.

[١٢٧] سورة الأعراف: ١٤٣.

[١٢٨] سورة آل عمران: ٤٩.

[١٢٩] سورة العنكبوت: ١٥.

[١٣٠] العنكبوت: ٢٤.

(١٣١) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٢٧.

(١٣٢) م.ن، ج٦٦، ص٢٩٣,٤

(١٣٣) الكافي، ج٢، ص٤٥

(١٣٤) الكافي، ج٢، ص٤٥,١

(١٣٥) الاحقاف: ١٥.